تنظيم «القاعدة» من الداخل كما يروي ابو جندل (ناصر البحري).. الحارس الشخصي لبن لادن (3)

سفارتا امريكا في شرق افريقيا استهدفتا لدورهما في اشعال الحرب العرقية في رواندا وبروندي

«القاعدة» شاركت في معارك الجنوب السوداني.. ومحاولة اغتيال مبارك كانت ضمن المواد التدريبية في افغانستان

اجرى الحوار: خالد الحمادي*

بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 كُتب الكثير والكثير وبعدة لغات عن تنظيم (القاعدة) الذي يتزعمه أسامة بن لادن، غير أن تلك الكتابات كلها كانت من خارج التنظيم ولم تعد أن تكون مجرد اجتهادات صحافية أو استندت على تقارير استخباراتية، قد يصيب بعضها ولكن قد يخيب أغلبها.

ولذا حاولت «القدس العربي» التميزّ والاقتراب من ذلك بإجراء هذه السلسلة المطولّة من هذه اليوميات والذكريات للحارس الشخصي السابق لأسامة بن لادن، المعروف بلقب (أبو جندل) واسمه الرسمي ناصر البحري، والذي حاولنا من خلاله فتح الأبواب المغلقة، وزيارة المملكة المحظورة، تنظيم (القاعدة)، والغوص في أغواره من الداخل عبر واحد من أهم العناصر التي تكتنز معلومات عميقة عنه وعن تركيبته التنظيمية.

وأبو جندل شاب غزير الثقافة، شديد الذكاء، محاور جيد، سريع البديهة، يبهرك بطرحه القوي كلما حاولت محاصرته بالاسئلة، ويتمتع بذاكرة حديدية، وفوق هذا كله مفتول العضلات، ولذا ربما كان اختياره لحراسة أسامة بن لادن ليس من قبيل الصدفة ولم يأت من فراغ.

عاد من أفغانستان إلى اليمن قبيل عملية تفجير المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن عام 2000 بحوالي شهرين، ألقي القبض عليه عقب ذلك وأمضى في السجن اليمني سنة و10 أشهر، منها 13 شهرا في السجن الانفرادي.

يعيش حاليا حرا طليقا في البلد التي ينحدر منه وهو اليمن، وتحديدا في عاصمته صنعاء، ويمارس حياة طبيعية فيها، يتجول بحرية في شوارعها ويمارس نشاطه المهني بكامل إرادته، غير أنه ربما ليس حرا من أعين (الرقيب) المحلي والخارجي، حيث يعيش تحت الإقامة الجبرية في العاصمة صنعاء ومحضور عليه الانتقال للعيش في المناطق اليمنية الأخرى، كما أن اتصالاته تحت الرقابة الدائمة.

بعد محاولات متواصلة استمرت ستة أشهر لفتح هذه الملفات، تعاقبت خلالها عمليات رفض مستمرة من قبل الأجهزة الأمنية لذلك، ثم الموافقة المبدئية أحيانا والرفض أحايين أخرى، حتى تمكنا من اقتناص هذه الفرصة لإجراء هذه السلسلة من الحلقات التي تبحر بالقارئ في محيطات تنظيم (القاعدة) وتغوص به في أعماق زعيمه ومؤسسه أسامة بن لادن، ابتداء من التنشأة والبيئة الدينية التي تربى عليها في السعودية، مرورا بحياته في السودان ونشاط التنظيم في إفريقيا، وانتهاء بحياته الشخصية وحياة التنظيم وعناصره في أفغانستان حيث استقر التنظيم والمنظمّ فيها حتى اليوم والتي اتخذ منها منطلقا لتنفيذ أبرز وأخطر العمليات العسكرية غير الحكومية، التي تسميها أمريكا (إرهابا) وتسميها القاعدة (جهادا)، والتي شكلت منعطفا هاما في السياسة الدولية.

في هذه الحلقة سيتحدث أبو جندل عن الفترة السودانية لزعيم تنظيم (القاعدة) أسامة بن لادن وأتباعه المقربين وطبيعتها، وعن مستوى تغلغل التنظيم في أعماق القارة الإفريقية.

في السودان

■ لننتقل إلى السودان، كيف ولماذا قرر أسامة بن لادن مغادرة بلده السعودية إلى السودان؟

■ في الحقيقة لم تكن مغادرة الشيخ أسامة من السعودية إلى السودان مباشرة، ولكنه خرج من السعودية إلى باكستان، وبقي فيها فترة من الزمن، وخلال ذلك كان يبحث عن أنسب أرض مستعدة لاستقبال المجاهدين من أتباعه، بحكم أن السعودية ضيّقت عليهم، والنظام تنصل من مسؤولياته إزاءهم، وحتى الشيخ أسامة نفسه مُنح جواز سفر لسفرة واحدة فقط، يستخدمه للخروج من السعودية وعودة واحدة فقط، وقد استغل هذا الجواز للخروج النهائي من السعودية ولم يعد إليها بعد ذلك، وقد مُنح له هذا الجواز بحكم علاقته الشخصية مع بعض أفراد العائلة المالكة، وقد أعطي له هذا الجواز للسفر إلى باكستان من أجل تصفية أعماله ثم العودة للسعودية والإقامة الجبرية فيها، غير أنه استغل جزئية السماح له بالخروج ولم يعد إليها بعد ذلك، اتجه إلى باكستان وكان قد قرر البقاء فيها، غير أن الحكومة الباكستانية بدأت بشن حملات مضايقة وملاحقات ضد المجاهدين العرب، ابتداء من بشاور وغيرها من المدن، وكانت هذه الحملات الباكستانية ضد الأفغان العرب المقيمين فيها بسبب خلفيتهم الجهادية وكانت أيضا بسبب التصرفات والأفعال الصبيانية لبعضهم الذين استخدموا خبرتهم العسكرية بتنفيذ أعمال تخريبية وتفجيرات في باكستان، وكانت هذه الأعمال سببا في التشديد الباكستاني على المجاهدين العرب وبالذات بعد عملية تفجير السفارة المصرية في العاصمة الباكستانية إسلام أباد، فقد شهدت تلك الفترة أكبر عملية تشديد ومطاردة للأفغان العرب، وفي هذه الفترة واجه الشيخ أسامة مضايقات كبيرة في باكستان فقرر البحث عن بلد آخر مناسب له ولأتباعه ويكون مستعدا لاستقباله، فاختار السودان الذي كان ما زال في أوج عنفوانه الثوري الإسلامي، في ظل تزعم الجبهة الإسلامية للسلطة، بقيادة الدكتور حسن الترابي، فانطلق الشيخ أسامة نحو السودان واستقبله السودانيون بكل ترحاب، من منطلق الاستفادة الاقتصادية من رؤوس الأموال التي سيستثمرها في السودان، وبدأ هناك تنفيذ العديد من المشاريع الاستثمارية العملاقة، حيث أنشأ خمس شركات استثمارية مهمة، أبرزها شركة وادي العقيق لإنتاج المواد الزراعية، ودخل شريكا في شركة الكنانة لإنتاج السكر، وشارك في شركة المقاولات التي أنشأت مطار بورت سودان، وأنشأت كذلك (طريق مدني خرطوم)، لتسهيل نقل المواد الزراعية، وتنفيذه لهذه المشاريع الاستثمارية مع الحكومة السودانية كان بهدف عمل تجاري استثماري بحت.

■ كيف كانت حياة بن لادن الشخصية في السودان وكيف كان يعيش فيها، هل بشكل طبيعي أم كانت لديه أنشطة خاصة؟

■ حسب علمي بوضعه هناك أنه كان يعيش حياة طبيعية جدا، ولكنه كان يتواصل مع الآخرين، وكان يتابع الأحداث بعمق، سواء الأحداث المحلية أو الإقليمية أو الدولية ويقرأ تأثيراتها على العالم الإسلامي، وعرفت أنه كان يتابع الحرب اليمنية في صيف 1994 عن كثب وكان على إطلاع دائم بها، وأنه حاول إرسال عناصر من (القاعدة) للمشاركة في تلك الحرب إلى جانب القوات الحكومية الشرعية غير أن الشباب أنفسهم لم يتمكنوا من الاشتراك في تلك الحرب باسم التنظيم، بحكم سرعة انفجارها وسرعة إخمادها، ومع ذلك شارك في تلك الحرب العديد من عناصر (القاعدة) السابقين من الذين كانوا في أفغانستان، أمثال طارق الفضلي وجمال النهدي، اللذين كانت تربطهما بأسامة بن لادن علاقة وطيدة.

■ هل بقاء أسامة بن لادن في السودان لأغراض استثمارية فقط، كان شرطا سودانيا للموافقة على استضافته، أم أنه كان قرارا ذاتيا للهدوء والتخلي عن بعض أعماله العسكرية؟

■ كانت الفترة السودانية فترة هدوء بالنسبة للشيخ أسامة، وفعلا لم تكن للتنظيم أية أعمال عسكرية في تلك الفترة، إلا في الصومال فقط، وأما في السودان فكانت نشاطاته كلها أعمالا استثمارية اعتيادية، وأعتقد أن الشيخ أسامة قرر الهدوء من ذات نفسه، ولكنه كان يتابع الأحداث عن كثب في السعودية ويتفاعل معها، ولم يكن ذلك الهدوء بسبب طلب من الحكومة السودانية، فذلك لم يكن حاصلا، على العكس كان العديد من عناصر (القاعدة) الذين كانوا معه في الخرطوم يشاركون في الحرب بجنوب السودان مع المتطوعين السودانيين إلى جانب القوات الحكومية، وبعضهم كان ينطلق للقتال في الصومال وهكذا، ولم يكن للحكومة السودانية أي دور في تقييد حركته وتحجيم نشاط أتباعه، وركز في تلك الفترة على تنمية أمواله وتوسيع دائرة نشاطه التجاري والاستثماري، وربما اتخذ تلك الفترة مرحلة للتفكير العميق حول خطط المستقبل.

■ ولكن عقب محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في أديس أبابا، اتهمت الحكومة المصرية أسامة بن لادن بأنه كانت لديه معسكرات تدريب في السودان، هل سمعتم بشيء من ذلك؟

■ حسب علمي بأنه لم يكن في السودان أي معسكر للتدريب تابع لتنظيم (القاعدة)، وكان الشيخ أسامة يكرس نشاطه هناك للعمل التجاري البحت، وللعملية الاستثمارية الصرفة، لأنه كان أيضا يضع حسابا للحكومة السودانية ويفكر بمصالحها وأبعادها، ولا يحب إيذاءها أو التسبب في جلب السوء لها، فلذلك لم يحاول الشيخ أسامة إنشاء معسكرات فيها، وإن كان في بداية أيامه في السودان في الفترة الأولى لثورة الإنقاذ برئاسة عمر حسن البشير فتح بعض المعسكرات للحركة السلفية الإريترية، إلا أنها كانت ضعيفة الذكر وضعيفة الصيت، وكان الشيخ أسامة يركز بدرجة أساسية على معسكرات (القاعدة) التي أنشاها في الصومال.

محاولة اغتيال مبارك

■ هل تعتقد أن لتنظيم (القاعدة) ولأسامة بن لادن دورا في محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك، في العاصمة الاثيوبية؟

■ في الحقيقة ليس لي علم بذلك، ولكن أذكر أنه عندما كنا نتدرب في معسكرات (القاعدة) كان بعض أعضاء الجماعة الاسلامية المصرية يحكون لنا هذه القصة وكيف تمت محاولة الاغتيال، كنوع من المواد التدريبية، وقصة تدريبية نطبق عليها، فكانوا يحكون لنا هذه القصة ولكن لم يكونوا يؤكدون لنا أنها من تنفيذ (القاعدة)، ولا أظن بأن للقاعدة ضلعا في هذه العملية.

■ هل هذا يعني أن الجماعة الإسلامية المصرية هي التي نفذت عملية الاغتيال؟

■ نعم، هي التي قامت بتنفيذ هذه العملية بكوادر مصرية، وكل شيء مصري، وقد كانت عملية اغتيال حسني مبارك في العاصمة الإثيوبية أديس أبابا من تخطيط وتنفيذ الجماعة الإسلامية المصرية.

■ مع بقاء أسامة بن لادن لفترة طويلة في السودان، يشار إلى أنه استغله لخلق جسور وامتدادات طويلة لتنظيم (القاعدة) في أعماق إفريقيا، هل عرفتم شيئا من ذلك؟

■ في الحقيقة بعد المضايقات الباكستانية للمجاهدين العرب في مدينة بشاور، أصبحت السودان بمثابة الحضن الآخر لعناصر معظم الجماعات الجهادية العربية، مثل الجماعات المصرية، الجماعات الليبية والجماعات الجزائرية وغيرها بالإضافة إلى الشيخ أسامة بن لادن ومن معه من عناصر تنظيم (القاعدة). وأما عملية امتداد تنظيم (القاعدة) في إفريقيا فقد كان شيئا من ذلك، من خلال متابعة الشيخ أسامة لأحداث جميع الدول المحيطة والقريبة من السودان، مثل أحداث ليبيا، أحداث الجزائر، أحداث اليمن، أحداث الصومال وأحداث إريتريا، أحداث مصر، وحتى أحداث ليبيريا رغم أنها بلد بعيد في غرب القارة الإفريقية. حيث كانت الأحداث تدور في ليبيريا، وما كنا نعرف ماذا يدور هناك، لكن عن طريق تنظيم القاعدة وبعض الجماعة الإسلامية إتضح أن الصراع الذي كان دائرا في ليبيريا كان صراعا إثنيا دينيا بين المسيحيين والمسلمين، في بلد نسبة عدد المسلمين فيه في حدود 20 % من إجمالي عدد السكان، لذا كان الكثير من عناصر (القاعدة) يتمنون نقل الجهاد إلى ذلك البلد، بأسلوب (القاعدة) وعلى الطريقة الأفغانية، حتى أن أحد قادة الجماعات الإسلامية في ليبيريا كان يقول تمنينا لو أننا استطعنا التواصل مع الأفغان العرب، حتى يقلبوا ميزان القوى في هذا الصراع داخل ليبيريا. من هنا كان للشيخ أسامة نشاطات في إفريقيا ولكن ـ على ما أعتقد ـ كان معظم تلك النشاطات في إطار الإطلاع على الأوضاع هناك، للتواصل مع بعض التنظيمات هناك ومعرفة أحوالهم واحتياجاتهم، لكن لا أعرف إذا كان هذا النشاط انتقل إلى مستوى دعم تلك التنظيمات أو وجود نشاط عملي في البلدان الإفريقية.

ابو عبيدة البنشيري

■ لفتت حادثة غرق القائد العسكري لتنظيم (القاعدة) أبو عبيدة البنشيري في بحيرة فكتوريا بإفريقيا الأنظار إلى مستوى تغلغل تنظيم (القاعدة) في القارة السمراء، فما هي الرقعة التي استطاعت (القاعدة) الوصول إليها في إفريقيا؟

■ حسب ما عرفته من الشيخ أسامة وبعض الأخوة الآخرين، كان الأخ أبو عبيدة البنشيري، يحاول الاستفادة من الصراعات المسلحة التي كانت تدور في إفريقيا، كقضية وسط إفريقيا، بروندي ورواندا، وغيرها، لتسهيل عملية تغلغل عناصر (القاعدة) في إفريقيا. وأذكر أن من الأشياء التي كان الشيخ أسامة يذكرها لنا عن السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام، أن هاتين السفارتين كانتا عبارة عن معقل أمريكي في إفريقيا وأنهما كانتا العقل المدبر للأحداث في رواندا، التي قُتل فيها أكثر من 80 ألف مسلم، بسبب المجازر التي قامت هناك بين الهوتو والتوتسي، والتي كانت في الحقيقة بين المسيحيين والمسلمين، وكانت السفارتان الأمريكيتان تغذيان ذلك الصراع، وكان هذا الكلام من ضمن المعلومات التي حصل عليها الشيخ بن لادن من عمليات الاستطلاع على الأحداث هناك من خلال عناصر (القاعدة)، وقد قام أبو عبيدة البنشيري بجولة استطلاعية ميدانية في جميع مناطق الصراع في إفريقيا؛ وأثناء إحدى جولاته استشهد غرقا في بحيرة فيكتوريا. وتربط منطقة البحيرات في إفريقيا بين 8ـ10 دول إفريقية، وهذه الدول جميعها كانت تدور فيها أحداث مهمة، ولكن كنا لا نعلم عن تلك الأحداث شيئا، لأنها معزولة عن العالم الخارجي، وكان المسلمون هناك يعانون من ويلات تلك الأحداث وكانوا ضمن أطراف الصراع، فكان الأخ أبو عبيدة يخطط ويفكر في كيفية إخراج هذه الأحداث المغمورة إلى السطح الدولي، وتحويل قضايا تلك الدول إلى قضايا دولية، وإبرازها إلى ساحة الأحداث الدولية، لأنها لو ظهرت إلى ساحة الأحداث الدولية فإنها قد تساهم في استقطاب شباب جدد إلى ساحة الجهاد هناك، واستقطاب عناصر جديدة وفتح الأبواب لعمليات جهادية أخرى، وكان هدف الأخ أبو عبيدة فتح جبهات كثيرة على التحالف الصليبي اليهودي في كل مكان حول العالم، لمحاولة تشتيتهم واستنزافهم وصرف نظرهم عن الهجوم على الأمة.

محاولة اغتيال بن لادن

■ وماذا عن محاولة اغتيال أسامة بن لادن في السودان، ومن هي الجهة التي وقفت وراء تلك المحاولة، وهل كانت حكومية أم غير ذلك؟

■ محاولة اغتيال الشيخ أسامة كانت في حي الرياض بالعاصمة السودانية الخرطوم، ووفقا لما سمعته عن هذه القضية من الشيخ أسامة نفسه، كان مكتب الشيخ أسامة أمام بيته، ويفصله عن البيت شارع، وطبعا بحكم أنه كان لاجئا سياسيا في السودان، كانت عليه حماية من قبل القوات الأمنية السودانية وفي ذات الوقت كان مرخّصا له حمل السلاح، الذي كان لا يفارقه، كما ان مجموعة من أتباعه كانوا مسلحين أيضا. وقت عملية الاغتيال كان قبل صلاة العصر، حيث كان الشيخ أسامة يتهيأ للخروج من مقر إقامته باتجاه مكتبه أمام الفيلا التي كان يقطنها وأسرته، فتأخر بسبب حوار كان يدور بينه وبين ابنه عبد الله، حيث كان الشيخ أسامة في تلك الفترة يهيئ أهله للتقشف في الحياة ويربيهم على الرضا بالحياة البسيطة بالتقشف والابتعاد عن البذخ، فيما كان ابنه عبد الله معارضا لفكرة التقشف، على اعتبار أن أباه مليونير ومن الأثرياء، ومن المفترض أن يستمتعوا بتلك الثروة، وهذا الحوار مع ابنه عبد الله أخّره عن الخروج للمكتب، بينما حرسه الشخصي كانوا قد تقدموا عليه وسبقوه إلى المكتب، وهو ما خدع منفذي عملية الاغتيال، حيث ظنوا أن الشيخ أسامة قد دخل إلى المكتب مع حراسه، فبدؤوا بالضرب الناري على المكتب مباشرة، فيما كان الشيخ أسامة ما زال في بيته، وكان حينها وابنه يحملان السلاح، وعند سماعه لطلقات الرصاص خرج من البيت فرأى مسلحين يطلقون السلاح باتجاه مكتبه وقد اشتبكوا مع حراسه المسلحين في المكتب كما ان رجال الأمن السودانية كانوا يقاومونهم من الأمام، فسارع وابنه بتطويقهم من الخلف، ووقع المهاجمون بين فكي كماشة كما يقال، قُتل منهم من قُتل وأُسر منهم من أُسر والبقية فروا. واتضح فيما بعد أنّ منفذي هذه الحادثة ومرتكبيها عصابة من التكفيريين، من جماعة التكفير والهجرة التي كفّرت بن لادن وأباحت دمه ضمن منهجها التكفيري، الذي كفرت به الكثير من أعلام المسلمين، وهؤلاء المنفذون تأثروا بأفكار جماعتهم دون تحقق من الأمر، وكانت المخابرات المصرية وكذلك المخابرات السعودية تستغلان حماقة هذه الجماعة فتشجعانها وتدعمانها، ولكن لا تأكيدات بأن هذه الأجهزة كانت وراء عملية الاغتيال للشيخ أسامة.

■ هل سمعت من بن لادن تأكيداته التي يبرئ فيها ساحة المخابرات المصرية والسعودية من محاولة اغتياله، أم أن هذا مجرد اجتهاد شخصي؟

■ هذا ليس تأويلا ولا اجتهادا شخصيا، فلقد سمعته مباشرة من الأخوة الذين كانوا حول الشيخ أسامة والذين سمعوها منه مباشرة، حيث كان الشيخ يحكي لهم عن هذه العملية وكيف تمّت وكيف نُفّذت، ولكن لا أذكر أن الشيخ قال إن المخابرات المصرية أو السعودية كانتا وراء ذلك، ولو كان يعلم أن أيا من هذه الأجهزة كانت وراء عملية اغتياله لكشف ذلك دون تحفّظ، وحسب عهدنا به أنه كان شجاعا ولا يخاف أن يعلن أي معلومة يثق بصحتها، خاصة وأن هذين الجهازين الاستخباريين كانا مركزين عليه بشدة، بسبب وجود أيمن الظواهري والجماعة الإسلامية المصرية، وكانوا يلتقون بالشيخ أسامة هناك.

■ هل تتوقع أن الحكومة السودانية استغلت هذه الحادثة لممارسة الضغط على أسامة بن لادن لإخراجه من السودان؟

■ أبدا، لم يستغل السودانيون هذه الحادثة باتجاه ممارسة الضغط عليه، ولقد كان السودانيون حتى آخر لحظة وهي التي خرج فيها بن لادن من السودان يعاملونه معاملة حسنة، وكان خروجه من السودان بسبب تأثيره السياسي على الشارع السعودي لخطاباته وبياناته المؤثرة داخل المملكة، والتي دفعت بالرياض إلى ممارسة ضغوط كبيرة على الخرطوم لإخراجه من الأراضي السودانية، التي واكبتها ضغوط أخرى مصرية وتطابقت هذه الضغوط مع الضغوط الأمريكية على السودان بسبب توجهه الإسلامي، وكان البلد ما زال متأثرا بتبعات حرب الخليج الثانية، والحصار الأمريكي عليه، فطلبت الجبهة الإسلامية الحاكمة في السودان بقيادة الدكتور حسن الترابي من الشيخ أسامة مغادرة السودان، وكان الترابي يمثل عامل إزعاج ومعاناة لابن لادن، فقد كان يشكو منه كثيرا، وكان الشيخ أسامة يقول: ما عانيت في السودان أكثر مما عانيت فيها من الترابي، رغم أنه كان اسلاميا وصاحب فكر اسلامي، وكان هذا على عكس الرئيس السوداني عمر حسن البشير الذي ظهرت فيه نخوة وشهامة وحميّة السودانيين، فكان لا يقبل بهذه الضغوط بحكم أن الرجل (بن لادن) ضيف على بلاده ولاجئ لديها، أما الترابي فيبدو أن دراسته في جامعة السوربون والخلفية السياسية القديمة له أثرت عليه كثيرا، فكان الترابي هو وسيلة الضغط على الشيخ أسامة للخروج من السودان.

الترابي ورحيل بن لادن

■ هل لعب الترابي دورا في اقناع الحكومة السودانية لاخراج بن لادن من أراضيها؟

■ الترابي مارس بنفسه ضغوطا كبيرة على الشيخ أسامة للخروج من السودان، وقد زاره ثلاثة أيام متواصلة، كان يعقد خلالها معه جلسات مطولّة ونقاشات ساخنة تستمر ساعات طويلة حتى وقت متأخر من الليل لإقناعه بالخروج من السودان، وكان الشيخ أسامة يحاول إقناعه بغير ذلك، وأنه لا داعي لإخراجنا، فلم نقم بأي عمل مسلح ضد السودان، وليس أمامنا بلد آمن يمكن أن يستقبلنا، إلا أن الترابي كان يقول له أمامك خياران، إما أن تصمت وإما أن تخرج من البلاد، وكان مصمما بشدة على إخراج بن لادن من السودان، وحينها قرر الشيخ أسامة الخروج من السودان، وقال: «ما دام أن الكثير من الشباب اعتقلوا في السعودية والسودانيون يمنعوني من الكلام فسأخرج من السودان». فرتّب مع السودانيين عملية خروجه وأتباعه من السودان، وانتقل إلى أفغانستان.

■ هل كان السودانيون يمكن أن يقبلوا ببقائه في بلادهم إذا وافق على الصمت فيها؟

■ أعتقد أن السودانيين كانوا سيقبلون بذلك إذا وافق بن لادن على الصمت، لأن العملية كانت عملية مساومة معه، بقاؤك مقابل صمتك، لأن السودانيين كانوا مستفيدين منه، حيث أقام مشاريع استثمارية ضخمة جدا داخل السودان، بملايين الدولارات، والرجل كان مقاولا من الدرجة الأولى، وكانت شركاته تنفذ العديد من المشاريع في السودان بعطاءات مخفّضة، وحسب علمي ما زالت الحكومة السودانية مدينة لإبن لادن حتى اليوم، لعجزها عن تسديد ديونها له، لأنه عند مغادرته السودان باع عليها كافة شركاته التي كانت قائمة في ذلك الوقت بالسودان ولم تسدد الخرطوم قيمتها حتى الآن.

■ قبل مغادرة بن لادن السودان، هل باع جميع شركاته فيها؟

■ نعم باعها جميعا للحكومة السودانية بثمن بخس، لأنه لم يجد أمامه أي خيار آخر.

■ ما هي ابرز المشاريع التي نفذتها شركات أسامة بن لادن في السودان؟

■ أذكر من هذه المشاريع طريق (الخرطوم مدني)، وهو من الطرق الإسفلتية الطويلة في السودان، فتحه الشيخ أسامة، وأنشأ العديد من السدود، وأنشأ مطار بورتسودان، وخصص أموالا طائلة للاستثمار في المجال الزراعي، وقام بتقديم الخدمات الكثيرة جدا، للسودان ولتشغيل المجاهدين.

طيار روسي ينقل بن لادن لافغانستان

■ أثناء مغادرته السودان، كيف كانت أجواء خروجه منها، وما هي الترتيبات الأمنية التي واكبت ذلك؟

■ بن لادن خرج من السودان إلى جلال أباد بأفغانستان بطائرة خاصة، ليس عليها سوى طيار روسي لا يفهم اللغة العربية، وكان معه في تلك الرحلة الأخ حمود الزبير، رحمه الله، والأخ سيف العدل المصري، فكّ الله أسره، واثنان من أبناء الشيخ أسامة وهما: سعد وعمر، وكان معه عدد قليل جدا من الحرس الشخصي، في طائرة صغيرة لا تستوعب سوى 12 راكبا، وكان الأخ سيف العدل جالسا بجوار الطيار وبيده بوصلة وخرائط جوية تبين المسار الجوي لخط الطيران الذي تسير فيه الطائرة، لعدم ثقتهم بالطيار الروسي الذي حصروا دوره بتوجيه الطائرة فقط وفقا للمسار الذي بيدهم، وأحيطت عملية المغادرة بسرية تامة وتكتم شديد، وكانت هذه الإجراءات الأمنية مهمة جدا لإنجاح مغادرة بن لادن من السودان إلى أفغانستان. وعملية وصوله إلى أفغانستان تمت بالترتيب والتنسيق مع القائد الميداني في جلال أباد المهندس محمود، من قادة الحزب الإسلامي الأفغاني، المسيطر على جلال أباد، الذين رحبوا بالشيخ أسامة هناك بحكم العلاقة القديمة بين الجانبين، واستقبلوه استقبالا حارا، ثم أخذوه إلى مقر القائد الأفغاني المُلاّ يونس خالص، وكان هذا الاستقبال نوعا من رد الجميل للشيخ أسامة على ما قدمه للمجاهدين الأفغان أثناء حربهم ضد القوات السوفييتية، وقالوا كيف نترك هذا الرجل الذي ضحى بأمواله وبدماء أتباعه وكل ما لديه على الأرض الأفغانية من أجل نصرتنا ونصرة جهادنا، فاستضافوه وأتباعه كامل الضيافة وكانت أفغانستان الأرض الوحيدة التي تستطيع تحمل أعباء وجود بن لادن وتنظيم (القاعدة) في أراضيها.

■ هل تعتقد أنه حصل لقاء بين بن لادن والرئيس السوداني عمر البشير، بشأن طلب المغادرة ومن الذي أبلغه رسميا بذلك الطلب؟

■ الذي أعرفه أن الذين أبلغوه بطلب المغادرة هم قيادة الجبهة الإسلامية بقيادة الترابي، على الرغم من أن البشير غضّ الطرف عنهم وأمّن لهم الجانب الأمني لسلامة مغادرتهم السودان بسرية تامة، حيث غادر الشيخ أسامة السودان مع عدد قليل من حراسه واثنين من أبنائه في طائرة خاصة كما ذكرت، بينما انتقلت بقية أعضاء تنظيم (القاعدة) مع من التحق بهم من الأخوة العرب من الجماعات الإسلامية الأخرى بطائرتين أخريين تابعتين لشركة الطيران الأفغانية (إريان)، استقلوهما من الخرطوم إلى مدينة جلال أباد الأفغانية بتنسيق مع القادة الأفغان.

■ أشار بن لادن أكثر من مرة إلى أنه متألم من السودان، فهل هو متألم من السودان كبلد، أم من الحكومة، أم من الترابي فقط؟

■ كان الشيخ أسامة متألما من وضع السودان عموما، فقد كان يتأثر بالأحداث المتلاحقة التي كانت تدور فيه حتى بعد خروجه منها، وعندما اعتقل الترابي وأدخل السجن، كان الشباب يقولون له: يا شيخ الترابي في السجن، فكان يرد عليهم، هذا شيء متوقع، لأنه (لا يصلح سيفان في غمد)، في إشارة إلى أن الوضع السوداني كان غير طبيعي في ظل وجود قيادتين في ذات الوقت.

■ كيف تصف العلاقة بين بن لادن والترابي؟ هل كانت علاقة طبيعية أم انه كان يشوبها بعض الحساسيات؟

■ الحساسيات كانت واردة بينهما، وكانت المعضلة الكبرى التي سببت الحساسية بينهما البرنامج العملي الفعلي للشيخ أسامة ونجاحه في دحر القوات الأمريكية في الصومال، بالتعاون مع الجماعات الإسلامية الصومالية، ودحر الخطر الأمريكي عن السودان، حيث كانت السودان ستكون البوابة الأولى أمام الأمريكان إذا سيطرت القوات الأمريكية على الصومال وعلى منطقة القرن الإفريقي، ولذا كان هذا النجاح في حماية السودان الذي حققه بن لادن مثار حساسية ونقطة ولّدت غيرة لدى الترابي، الذي يعتمد كثيرا على التنظير، وربما كان يخشى أن يكون للشيخ أسامة دور ما في السودان على حسابه مستقبلا، خاصة أن بن لادن كان ينظر حينها للسودان على أنه يمثل قاعدة خلفية للحركة الإسلامية العالمية ويشكل امتدادا مهما للحركة الإسلامية في القرن الإفريقي وشرق إفريقيا عموما.

اعلان الجهاد ضد امريكا

■ بعد انتقال أسامة بن لادن إلى أفغانستان، كيف تم تجميع عناصر (القاعدة) هناك من جديد بعد أن تشتتوا في أصقاع المعمورة؟

■ خطة إعلان الشيخ أسامة للجهاد ضد الولايات المتحدة الأمريكية كان ينوي إعلانها وهو ما زال في السودان، غير أنه لم يتمكن من ذلك، لأن الحكومة السودانية رفضت السماح له بذلك ومنعته من الكشف عن ذلك الإعلان، وردّت عليه بأنها لا تستطيع تحمل تبعات هذا الإعلان، فانتقل إلى أفغانستان وأعلنها من هناك، وكانت وقتها بلدا بدون حكومة وليست فيها أحزاب مسيطرة على كامل التراب الأفغاني، ولأنه كان يتمتع بعلاقة جيدة مع أغلب قادة الجهاد الأفغاني، فدعموه في هذا التوجه وقالوا ليست لديهم مشكلة في ذلك، لأن أمريكا مثل الاتحاد السوفييتي التي قاتلوها في أفغانستان، فاستغل بن لادن ذلك الحماس الأفغاني وأعلن فتواه وخطته لمواجهة أمريكا منذ تلك اللحظة، وكانت بمثابة النداء والدعوة لتجميع الأنصار والأتباع، وبالذات العناصر الجديدة، أما العناصر القديمة فلم يعوّل عليها كثيرا، وكان يقول بن لادن عنهم غفر الله لإخواننا القدامى، لم يشاركوا معنا، وقد اختبرهم الشيخ أسامة عندما أعلن الجهاد في الصومال، حيث أرسل رسائل لجميع الأخوة في السعودية وفي اليمن وفي كل مكان، وأفضل واحد فيهم أجابه بالقول: يا أبا عبد الله لا أستطيع المشاركة، لأنه عندي أسرة وعندي أطفال، خاصة وأن الكثير منهم كانوا ما زالوا مصدومين ومتأثرين بما آل إليه الحال في أفغانستان بعد خروج القوات السوفييتية، من اقتتال وصراع على السلطة بين الأحزاب الاسلامية ذاتها هناك، والذي أحدث نوعا من الإحباط النفسي لدى المجاهدين العرب، ولكن بمجرد ما أعلن الشيخ أسامة الجهاد التحق به الكثير من العناصر الجديدة، في مقدمتهم مجموعة الشمال، التي كنت واحدا من أفرادها.

■ هل من تفصيل حول فتوى أسامة بن لان التي دعا فيها إلى قتال الأمريكيين صراحة؟

■ طبعا بالنسبة لهذه الفتوى كاد الشيخ أسامة أن يدعو المسلمين في كل مكان إلى قتل الأمريكان، والدفاع عن أراضي المسلمين، وأن الأمريكي هدف حيثما كان، وليس للأمريكيين عهد وليس لهم أمان في جميع الدول الإسلامية، بحكم التدخل الأمريكي في كل مناطق العالم الإسلامي، حيث تدخلت الولايات المتحدة في كافة القضايا الإسلامية بدءا بالشيشان وانتهاء بالصومال وأحداث شرق إفريقيا، وأمريكا لها يد في كل شيء، فقد حاصرت دولا وجوّعت شعوباً، وأشياء كثيرة جدا، ولذا أباح قتل الأمريكان حيثما كانوا وضربهم أينما كانوا، كنوع من الاستباق للأحداث، وبالذات للضربة التي وجهها للولايات المتحدة الأمريكية، فالشيخ أسامة أصدر هذه الفتوى وأيده فيها الكثير من العلماء داخل أفغانستان وداخل باكستان، وعززوا فتواه باعتمادها، وبعدها باشهر معدودة حدثت عمليتا نيروبي ودار السلام، كنتيجة لذلك.

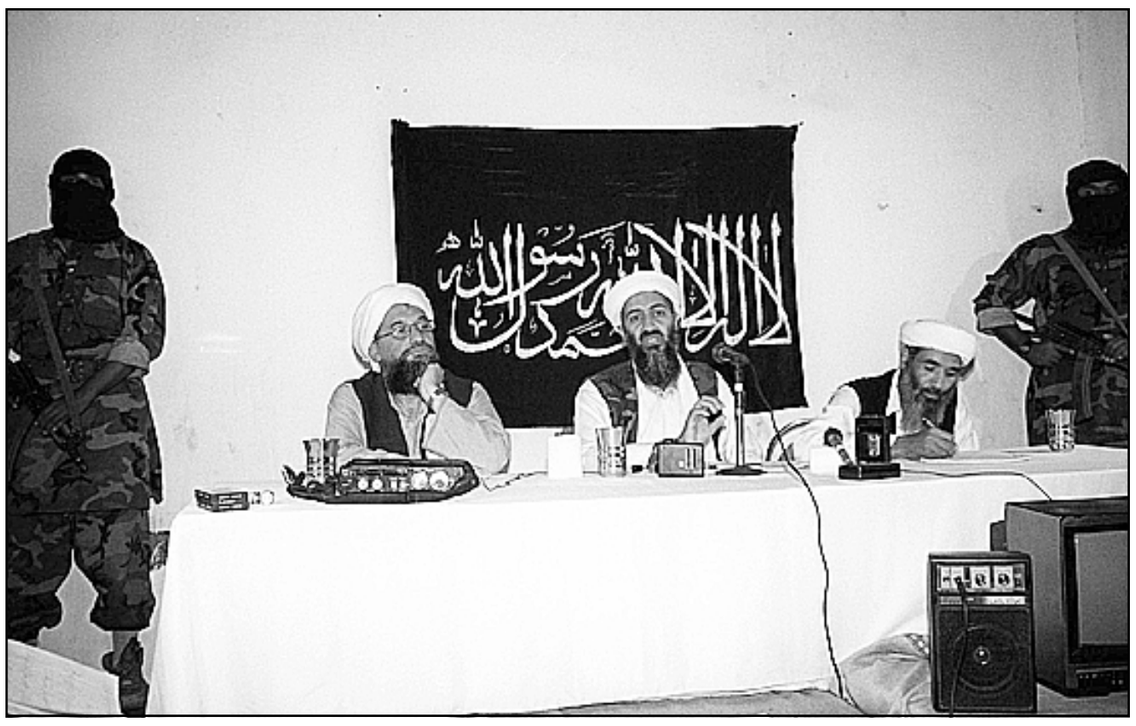

اسامة بن لادن يعلن مع ايمن الظواهري وابو حفص المصري عن «الجبهة الاسلامية العالمية»

أحد قادة الجماعات الاسلامية في ليبيريا كان يقول تمنينا لو أننا استطعنا التواصل مع الأفغان العرب، حتى يقلبوا ميزان القوى في هذا الصراع داخل ليبيريا.....

الشيخ أسامة كان يقول: معاناتي مع الترابي كانت الأكبر في السودان رغم أنه صاحب فكر اسلامي... والترابي ردد عليه طوال ليال ثلاث: اما أن تصمت او تخرج

* مراسل «القدس العربي» في صنعاء